جريدة المشير الحرة

جميع ما يتعلق بمكاتبات المشير اشتراكاته يجب ان يرسل الى مصر القاهرة باسم محرر الجريدة

سليم سركيس

قيمة الاشتراك
غرش صاغ
٦٠ في القطر المصري عموماً
في الولايات العثمانية ١٥ فرنكاً
في اوربا واميركا والبرازيل وغيرها ليرا انكليزية

(AL-MUSHEER)
THE COUNSELLOR

All Communication and Remittances to be addressed to Mr. Salim S. Sarkis, Editor of (AL-MUSHEER) Cairo, (Egypt)

العنوان التلغرافي
المشير — مصر

عدد ٤١ الاثنين في ٢٩ اوغسطس (اب) سنة ١٨٩٨ السنة الرابعة

عيد الجلوس السلطاني

بقلم حضرة الكاتب المجيد الواسع الاطلاع
سعادتلو افندم ابرهيم بك المويلحي
صاحب جريدة مصباح الشرق
وعضو لجنة الاحتفال بعيد الجلوس

أعرضوا عن مدائحٍ وتهانٍ
فالمراثي اولى بنا والتعازي

في مثل هذا اليوم من سنة ١٨٧٦ جلس على سرير السلطنة وعرش الخلافة جلالة السلطان الغازي عبد الحميد خان الثاني بارثه الشرعي عن آبائه واجداده غياث الامم وغيوث الديم اعاد الله يوم هذا العيد الجليل على الامة العثمانية وعليه بالسعادة والاقبال والعز والاجلال · وهذا اليوم يوم الزينة في دار السعادة وعاصمة السلطنة ومقر الخلافة فيصير دجى ليلها بياضاً مما يظهره سكانها من علائم السرور والابتهاج امام الحكومة السنية · وفيه تنشر الجرائد العثمانية ما يخترعه ويدخره اصحابها طول السنة من المعاني الشعرية وغرائب الاغراق وبدائع الغلو في حسن الاحوال ورغد عيش السكان ليسحروا به عقول الرعية ويدخلوا به السرور على جلالة السلطان كان يقولوا في هذه الليلة المقدسة مئتين وخمسين مليوناً من المسلمين فوق كرة الارض يمدون ايديهم بالدعاء الى السماء ليعيش جلالة السلطان على اريكة الملك الى آخر الزمان · ولو اتصلت ايدي هؤلاء العبيد بعضها فوق بعض لقطعت الوف الفراسخ وامسكت بالهلال وحينئذٍ تصير راية الهلال حقيقية للسلطنة السنية

اما نحن فقد عزمنا ان نذكر الحقائق الخالصة من شوائب المبالغة والغلوّ عن السلطنة العثمانية من ذاك اليوم الى هذا اليوم ليعلم الراعي انهُ فقد نصف سلطنته ومعظم شأنها امام اعين الاوربيين بخيانة الخائنين وغش الغاشين ليتدارك ايدهُ الله الامر في النصف الباقي الذي ابتدئ فيه من مبادئ الاضمحلال ما كان ابتدأ في ضياع النصف الاول ولتعلم الرعية ان ما ملكتهُ الدولة بدماء آبائها واجدادها ذهب رخصياً بهوى شيخ او جهل خصي فتقف مع جلالة السلطان بقلوب صادقة العزمات لتخليص الدولة من ورطتها ناسية ما مضى من الخطاء برجاء الخير فيما هو آتٍ

كانت الدولة العثمانية يوم جلوس جلالة السلطان على تختها من اجلّ الدول قدراً واعزها شأناً وابعدها صيتاً وارفعها صوتاً وكانت قوة اساطيلها — التي يسكت عنها الآن حياءً وخجلاً — بعد الدولة الفرنسوية في ترتيب قوى الدول البحرية وكان سكانها باحصاء الجريدة العسكرية

العثمانية اثنين واربعين مليوناً · فكان لها في اوربا عشرة ملايين وفي اسيا اربعة عشر مليوناً ونصف · وفي افريقيا احد عشر مليوناً ونصف · وكان لها رومانيا والصرب بستة ملايين · فضاع من اوربا البلغار وبوسنه وهرسك والجبل الاسود وتساليا باربعة ملايين · وضاعت رومانيا والصرب بستة ملايين · وضاعت تونس من افريقيا وهذه مصر بملحقاتها بعشرة ملايين ونصف ولم يبق لها فيها الاّ طرابلس الغرب بمليون واحد · وضاع من آسيا قبرص وقرص وباطوم واردهان بمليون واحد · فالنصف الضائع اكثر من النصف الباقي

كان اول ما فتح القضاء عليها من صحيفة البؤس فتنة البلغار وما احدثته من المذابح كما وقع الآن ببلاد الارمن فقامت الدول تطالب الدولة باجراء الاصلاح كما تطلبه اليوم لبلاد الارمن وحددت لها الاصلاح في فصول كما تحدده لها في المسألة الارمنية · فدفعت الدولة طلب الدول كما تدفعه اليوم بعزمها على نشر الاصلاح عموماً في جميع ولايات السلطنة · وعليه بادر جلالة السلطان باصدار الفرمان العالي بتشكيل مجلس المبعوثان ونشر القانون الاساسي الاّ انه وجد ايده الله من حاشيته من يثبطه عن تنفيذه فجمع مدحت باشا جمعية في الباب العالي من اعيان الاستانة واستشارهم في الجواب القطعي الذي يجب ان تعطيه الدولة للدول · فاتفقت تلك الجمعية باجمعها ان يرفض طلبهنّ بالمبادرة الى اجراء الاصلاح العام بنشر القانون الاساسي وتشكيل مجلس المبعوثان الصادر بهما الفرمان العالي · واراد مدحت باشا بهذا رفع التردد في تنفيذ الفرمان واغلاق الباب في وجوه المثبطين · فاشمأزّ جلالة السلطان منه لتعضده بالامة واعتماده على الدول في تنفيذ اغراضه فامر بنفيه الى اوربا قبل اجتماع المجلس ونشر القانون لعدم امكان ذلك بعدهما · ومن هذا علمت الدول ان الامور جارية على غير ظواهرها واثبت لها نفي الرجل الساعي في الاصلاح ما تظنهُ من التلاعب بها فشددت في طلب الاصلاح للبلغار واشتد الاضطراب في الاستانة وهاجت الافكار وكثر القيل والقال · فرأى جلالة السلطان ان قبول الاعلان بالحرب من روسيا يصرف افكار الامة عن الاشتغال به في الداخل · وبعد قبول الاعلان بالحرب علمت الدولة انها غير مستعدة تمام الاستعداد لهذه الحرب الهائلة فامر جلالته بجمع مجلس المبعوثان لتلقي الدولة مسئولية الحرب على عاتقه وبالفعل اقر المجلس على قبول الاعلان بالحرب · ولما استحصلت الدولة منه على غرضها هذا امرت بفضه في الحال · ثم ارادت الدولة ان تقلد دولة المانيا في حربها مع فرنسا حيث وضعت المانيا جميع التدابير الحربية والحركات العسكرية في يد المارشال مولتك فصارت جميع الاوامر تصدر من يلديز بالحركات العسكرية في ميادين الوغى لقواد الجيش العثماني بمشاركة محمود باشا الداماد · وفات السراي ان الخريطات التي كانت امام مولتك لاراضي فرنسا كانت اضبط من خريطات الجيش الفرنسوي نفسه وان خريطات الدولة كانت تشترى من الاسواق وان محمود الداماد غير المارشال مولتك فكم من حركة امرت فيها السراي بالتقدم وكان الخذلان الوحيّ فيه · وكم امرت بالتأخر وكان في غير ما امرت السداد والصواب · وقد سئل الغازي عثمان باشا بعد عودته من روسيا في مجلس الوكلاء عن سبب انحصاره في بلافنا وعدم خروجه منها مع امكان الخروج قبل التضييق عليه فاخرج من جيبه تلغرافات تامرهُ بعدم الخروج · وقد تجاسر بعض الوكلاء ولامه على فعله وقال له كان يجب عليك ان تقول يرى الشاهد ما لا يرى الغائب · فاجابه بان العسكري يجب عليه الطاعة المطلقة للرئيس الاعلى · ويقال ان كثيراً من هذه الحركات كان مبنياً على التنجيم وضرب الرمل والاحلام حتى ان بعض المشايخ كان يبشر جلالة السلطان باسر امبراطور روسيا · وقد نصح بعض الصادقين جلالة السلطان ان يخرج بنفسه الى ادرنه كما كان يفعل اباؤهُ واجداده في الحروب وكما يفعل الروس فابى الخروج و بعث محمود باشا الداماد مكانه ولو كان خرج جلالته لبعث في الجنود العثمانية روح الغيرة وحب التفاني في نصر الدولة ولكن للقضاء حكماً لا تغلبه منصائح والعزائم

وقد قاست الجنود العثمانية ما يفتت الاكباد ويذيب القلوب لعدم الاستعدادات الحرابية في ماكلها وملبسها وعلاج جروحها

ودفن قتلاها · وكانت قد تشكلت جمعية الهلال الاحمر لجمع المساعدت من اهل الخير فذهب من تونس الجنرال حسين باشا الى مواقع الحرب بما قدمه من ماله وقدمه اهل تونس بترغيبه · ولما رجع الى الاستانة وذهب الى السراي امر جلالته سعيد باشا الصدر الاعظم الحالي وكان باشكاتب الحضرة السلطانية ان يدعوه الى مأدبة سلطانية · فجلس عليها سعيد باشا وشرع يحكي على ماراه وشاهده من الضنك المحدق بالعساكر العثمانية وعريها في الثلوج وجوعها وجرحها والدموع تسابق كلماته على المائدة فقد كان الرجل متفانياً في حب الدولة · ولما قام ليغسل يديه وجد الطست الذي قدموه له من الذهب الابريز وجميع الآنية منه فابى ان يغسل فيه · وقال بعد ما شاهدت ما عليه العساكر المسلمون الذين يدافعون عن الاسلام والدولة في مواقع الحرب لا اغسل يدي في بيت الخليفة في هذا الطست · فامر جلالة السلطان لما سمع بكلامه ان يخرج في الحال من الاستانة فخرج وما قدر ان يعود اليها بقية عمره لانه قال الحق

اكاليل الغار

قرأت في (الاتحاد المصري) مقالة حسنة لكاتب فاضل فرأيت انها تستحق النقل وتدل على ما لكاتبها من رجاحة العقل وقراء المشير غير قراء الاتحاد قال الكاتب

هنيئاً لشهر يوليو فانه شهر الفوز والنصر وهو الشهر التي تزهر فيه حلة الثغر · ففي اواخره من كل عام تحتفل المدارس عموماً بتوزيع الجوائز على المستحقين من التلامذة الذين قضوا العام سعياً واجتهاداً وانتظروا مجيء ذلك اليوم بصبر نافد يوم ينالون اكليل الظفر الدال على ما بذلوه من ضعيف القوى ليحصلوا العلم الذي يقيهم عثرات الحياة في سفرهم الطويل وسط المعارك الدنيوية في زمن تشعبت فيه الغايات · واصبح نيل الفخر صعباً وتحصيل الحياة بلا نصب مستحيلا

انظر الى مدارس الصبيان ترَ الشبان والفتيان يتيهون بملابسهم السوداء والبيضاء بحسب اعمارهم ودرجات استحقاقهم يخرجون من دور العلم وعلى روؤسهم اكاليل الغار مصنوعة من الورق ولكنها رمز عما احرزوه من الفوز والفخار في تحصيل العلم الذي لم يكن بعد مرَّ على مخيلاتهم الصغيرة التي تندهش لاقل امرٍ وتتأثر لكل جديد تراهم يبسمون لوالديهم ولاصدقاء عائلاتهم ينئون تحت حمل الجوائز التي استحقوها وهي كتب حمراء وزرقاء وخضراء حاكت قوس قزح في اختلاف اشكالها وجميل الوانها مذهبة الاطراف تخطف ابصار الناظرين تنعكس شمس الغروب عليها فتكسبها بهاءً وزهاء والناس فرحون مستبشرون كأن ذلك اليوم يومُ فتحٍ عظيم وهو كذلك لأن جنود العلم قد تغلبت على جيوش الجهل وفتحت مدينة الظلام لتزيد في عدد المتنورين

واذا زرت مدارس البنات فهناك هناك محاسن ما ابدع الخلاق العظيم ترى بنات حوَّاء منتظمات على نظام بديع يأخذ بمجامع الالباب مرتديات جلابيب بيضاء من الشاش والموسلين ازدهت اطرافها بالشرائط الزرقاء الزاهرة وقد تدلت شعور تلك الفتيات اللائي سيكنَّ فاتنات الغد تراهن ينظرن الى الحضور بعيون طاهرة لم يخامرها بعد دهاء ولم يمتزج بها غشٌ ولا خداع تستوعبن هناء ذلك اليوم مسرورات من كل قلوبهنَّ مقتنعات بان لذة الحياة كائنة بلبس تلك الحلة البيضاء وباطلاق السبيل لتلك الشعور السوداء والشقراء والنظر الى الحاضرين من اطفال ورجال ونساء

ينشدن على مرسح المدرسة ادواراً تعلمنها بعضها محاورات وغناء وبعضها شكر للحاضرين وثناء ونقرات البيانو تصيب القلوب فتذهب بالعقول الى سماء الافكار وفضاء الاوهام فيحسب الناظر انه في سماء بين حور الجنان فيغض الطرف مهابة ويستغفر الله عن ذنب التقدير والافتكار

ثم ترى مدبرة دار العلم تنادي بصوت تحاول ان تجعله جهورياً ذاكرةً اسماء الفائزات معددة ما احرزنه من الدرجات وما حصلنه من العلم وهي كلما ذكرت بنتاً انسلت من بين الصفوف كأنها ملاك كريم تقدم رجلاً وتؤخر اخرى تتعثر باذيال الخجل لتأخذ الجائزة والاكليل ثم تبسط نظرها الحنون على جمهور الحاضرين لترى امها او اباها وتأخذ جائزة ذلك

الانتصار الادبي من يد علة وجودها فيتم سعدها وهناؤها والا مالت خجلة الى صديقة او صديق او الى وكيل دولة او وجيه ليضع اكليل الغار على رأسها اللطيف ويشيد ازرها بكلمات رقيقة تصل الى رقيق فؤادها فتعلو الحمرة وجنتها وتعود الى محلها فائزة منتصرة

وبعد الاحتفال تراهن في الشوارع زرافات تظهر لك درجتهن من اليسار بملاحظة بسيطة ان بعضهن يركبن العربات المخصوصة تسير بهنَّ عدواً والخيل تنهب الارض ركضاً والمتوسطات يركبن مع اهلهنَّ عربات الاجرة فتسير بهنَّ سيراً بطيئاً وهنَّ اسعد من الاخيرات حالاً اولئك اللائي يسرن على الاقدام سعياً الثقيلة تكاد تسقط اذرعتهنَّ الضعيفة ثقلها والاكليل يكاد يضايق رؤسهنَّ والشرائط الزرقاء تكاد ان تكون قيودهنَّ فهنَّ حقيقات بكل رحمة وحنان وهنَّ جديرات بان ترق لهنَّ كل شفة ولسان وهنَّ اللائي نودعهن الى يوم الفوز والامتحان

الاحتفال في مصر

بعيد الجلوس السلطاني

في ٣١ اغسطس الجاري يحتفل في حديقة الازبكية بعيد السلطان عبد الحميد كما جرت العادة في هذه الايام الاخيرة فتنفق الاموال الكثيرة على الفراش وامتعته والانوار والحرائق والمرطبات والانشاد وسائر اسباب المسرة واللهو

وقد تكرمت لجنة الاحتفال فارسلت اليَّ تذكرة دعوة للحضور فشكرت غيرتها واحببت ان اورد صورة التذكرة ليعلم القراء الذين لم يروها كيف هي

لجنة الاحتفال

(بعيد الجلوس السلطاني المأنوس)

اعزَّ الاله خليفتنا
٧٨ ٦٧ ١١٧١
١٣١٦

متين التجاريب عبد الحميد
٥٠٠ ٦٤٧ ٧٦ ٩٣
١٣١٦

وأبلغه في دوام المنى
١٠٤٤ ٩٠ ٥١ ١٣١
١٣١٦

سعود المفاخر في كل عيد
١٤٠ ٩٥٢ ٩٠ ٥٠ ٨٤
١٣١٦

جناب المحترم صاحب جريدة المشير الغراء تتشرف لجنة الاحتفال بعيد جلوس جلالة مولانا السلطان عبد الحميد الثاني بدعوة حضرتكم للحضور في الاحتفال العمومي الوطني الذي يقام في حديقة الازبكية مساء ٣١ اوغسطس الجاري ولجنابكم الشكر سلفاً . ومعكم صحبكم الاخصاء

اما المنظوم الذي في صدر التذكرة وفيه ٤ تواريخ فهو من نظم رجل كان بالامس ينثر الانتقاد الصارم على السلطان فاصبح الان ينظم مديحه نظماً وسبحان مغير الاحوال . اريد به الكاتب المجيد صاحب السعادة ابراهيم بك المويلحي صاحب مقالات ما هنالك التي قامت لها الاستانة وقعدت وصاحب جريدة مصباح الشرق العثمانية الان وصاحب المقالة المنشورة في صدر هذا العدد

ما لنا ولهذا . هم يحتفلون بعيد السلطان ويدعون له بدوام العز ورفعة الشان ولكنني اوكد ان كل واحد من هولاء الكرام اعضاء لجنة الاحتفال يقومون بهذه الاعمال وهم في قلوبهم يضرعون الى الله تعالى ان تبقى مصر مستقلة عن تركيا وان لا يعود نفوذ السلطان الى هذه البلاد . فكأني بهم يعيدون هذا العيد فرحاً لخلاصهم ومصرهم من سلطة السلطان . فان كان هذا قصدهم فقد احسنوا كثيراً في ارسال دعوة اليَّ لانني اول من يشترك معهم في هذه المقاصد والامال

والا فان كان قصدهم الحقيقي ان يزيدوا نفوذ عبد الحميد وان يمهدوا الطريق لرجوع سلطته عليهم فهم قد اخطأوا خطاءً عظيماً — اولا لان دخول جمل من ثقب ابرة ايسر من رجوع سلطة عبد الحميد على مصر ما دامت مخالب الاسد الانكليزي حادَّة وزمجرته ترتعد لها فرائص المعتدي وثانياً لانهم يعلمون انه لو كانت مصر خاضعة لهذا السلطان فاول ما يفعله منع هذا الاحتفال او انه يملأ الحديقة بالجواسيس خوفاً من مظاهرة الامة

الله والنبي

والجامع الازهر

الآداب الحديثة في مصر مدهشة كلها غرائب لو اطلع عليها العاقل من العرب اسف لسقوط مصر الى هذه الدرجة السافلة واذا رآها الاجنبي كان ازدراؤه بنا عظيماً

انهم في مصر يؤلفون كتب الادب ويطبعونها وينشرها الباعة بين ايدي الناس كانما هم يعلنون للامم ان الاسلام قد زالت ادابه والدين سقطت اعلامه والعلم ذهبت ايامه

خذ اي كتاب شئت من الكتب المطبوعة في مصر الحافلة بالسفاهة وقلة الادب تجدها مفتتحة بالبسملة فيقولون "بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيد المرسلين الى اخر ما هناك من التمجيد والتعظيم لله تعالى والنبي الكريم. ثم ماذا يكتبون؟ يملأون ذلك الكتاب سفاهة وقلة ادب ويوردون القصص السافلة التي يخجل اقل الناس حياء ان يطلع عليها

اما كان الاولى بهم ان يصونوا الله تعالى والرسول من الدخول في هذه المداخل وهل من الضروري الاستفتاح بالاسم الاعلى والصلاة على النبي في هذه الكتب السافلة الفاسدة. اليس بين علماء الاسلام من يردع الناس هذه الاعمال

وزد على ذلك انهم يصورون هذه القبائح في صورة الدين والعلم ويطبعون على صدر هذه الكتب المنكرة الفاسدة انها تأليف فلان "الازهري" كانهم يقولون للناس ان هذه آداب الازهر كما ان الكاتب الشهير الغربي ينتمي الى مدرسة كامبردج او اكسفورد ليروج كتابه علماً منه ان الناس يعتبرون كل طلبة العلم في تلك المدارس الجامعة في اعلى طبقة من الادب

فلماذا لم ينتبه شيخ الجامع الى وجوب المحافظة على كرامة الجامع ولماذا لا يستصدر امراً من "طرف" الحكومة يقضي بمنع انزال الجامع هذه المنزلة السافلة

لان الذي نراه في هذه الايام ان كل مسلم مهما كان جهله اذا دخل الجامع الازهر من الباب الواحد وخرج من الباب الآخر وكان قد تناول الجراية فهو ينتحل لنفسه صفة الازهري

فلا يطبع حمل زجل الا وهو لفلان الازهري ولا تكتب قصة سفيهة الا ويصدرها بالازهري وقد طبع بعضهم اوراق الزيارات وعليها الازهري

لماذا لا يحفظون للجامع منزلة تساوي منزلة المدرسة الكلية الاميركية في بيروت مثلا والازهر مدرسة الاسلام الوحيدة ولها قوة من الحكومة. فهل يتجاسر احد الناس مهما كان عالماً ان يدعي الحصول على رتبة البكلوريه من تلك المدرسة وهو لم يقض ٤ سنوات فيها وينال الشهادة المدرسية؟ انه لا يجسر على ذلك فلماذا يسمح لكلّ احمق ان يزين اسمه بصفة الازهر والازهر بريء من جهله وقلة ادبه

اما لهذا الاهمال دواء؟ وما رأي العلماء في هذا الداء العياء

الخديوي اسماعيل

الكتاب الاول

تابع ما قبل

٥

راى غريفيث الكونت دي سانتا مارينا يخطر على ظهر الباخرة وراءه سيدات كثيرات بعضهنّ بارعات الجمال فراى ان يتجنبهنّ ولذلك تظاهر لدى دخوله المركب انه يجهل اللغة الفرنساوية فاذا اضطرّ الى استعمالها لفظها لفظاً يضحك سامعه ثم دخل غرفته فرأى خادم الباخرة يدخل صناديقه اليها فحادثه طويلاً باللغة الفرنساوية وهو يحسنها كثيراً وفهم منه غريفيث ان الباخرة تحمل شيئاً كثيراً من السكر لمصر وبعض الخيل والجياد للغرمين بها في مصر وان السيدات اللواتي رآهنّ هن جوقة دُعيت للتمثيل في الاوبرا بمصر وان بين الركاب دوقة دي فاليريا وابنتها وما لبث الخادم ان سأل غريفيث ان يذهب معه في الحال الى غرفة القبطان لانه يجب ان يراه حالاً فذهب ولما انفرد به اوصد الباب وقال

— لقد استدعيتك اليّ من غير ان يشعر الركاب بزيارتك لي فاعلم انني مسؤول عن حياتك وصحتك لدى ادارة المساجري

ماريتيم التي تختص بها هذه الباخرة وانا اعلم من انت كما ان الصراف الشهير لوري له علاقات مهمة معنا فالاوفق ان تختم على جميع الاشياء الثمينة التي لديك وتضعها هنا في صندوقي الحديدي الخاص . ثم ان القبطان سلمه تحريراً عليه ختم لوري الخاص فراى ضمنه تذكرة من لوري مآلها « ثق بالقبطان ليفاشو واتكل عليه لسلامتك في سفرك واترك كل ثمين عندك لديه واتبع نصائحه » . ثم قال القبطان والان فاعلم يا مستر غريفيث انني طالما نقلت نصف مليون من الجنيهات الى الاسكندرية لخدمة اصحابك ولم يدرِ الناس بها وكذلك نقلت على باخرتي بعض الحسان لاسماعيل وشريف وصادق ونوبار وغيرهم من الباشاوات والاعيان وعليّ الان ان اهتم بك واحميك بنفسي فلا يجب ان تاتي الى هنا مرة اخرى الا اذا دعوتك اليَّ لئلا يلحظوا علاقتنا . وقد عينتُ لك المجلس الثاني بجانبي على المائدة . اما انت فاهتم بكتب السياحات واحرص كثيراً . وتجلس على جانبي دوقة دي فاليريا وابنتها وتجاهك تماماً يجلس الكونت دي سانتا مارينا وهو شقي بارع فكن على حذر منه واياك ان تقامر معهُ

اما جماعة الاوبرا فلا خوف منهم ولكن احذر من السيدة موربلي فهي آكلة الرجال ثم اختم جميع الاشياء المهمة وسلمها لي ولا تترك معك شيئاً يشير الى عملك السري فاجتنب الميسر والخمرة والنساء انها جميعاً اعداء الشباب

فقال غريفيث — لا تدعوني الا باسم مالكولم كرانفورد وساكون تحت اوامرك لكن اخبرني هل الانسة لافراج رفيقة الكونت سانتا مارينا فانني اكره منظر الرجل

— انها حسناء ذكية تقصد مصر لاخذ رسم مهم لمعرض رومية وهي لا تعرف الكونت من قبل . وعلى كل حال فهي غير موذية

وتعرَّف غريفيث بالدوقة دي فاليريا وتعددت اجتماعاتهما وادهشه ما راى من سعة اطلاعها على مصر واحوالها

ففي ذات يوم اجتمع غريفيث بالدوقة وجرى لهما حديث عن الكونت فقالت الدوقة

— لقد راقبت ترقي هذا الرجل من خادم صغير الى ترجمان فتابع باشا الى ان صار كونتاً وشرفه فاسد نظير جواهره الكاذبة . واما انت فشاب ويلذ لي الاهتمام بامرك

— وهل زرتِ مصر كثيراً

— قضيت فيها عدة فصول شتويه منذ زرتها لاول مرة بمعية الامبراطورة عند الاحتفال بفتح قنال السويس

ولست انسى يوم ١٦ نوفمبر سنة ١٨٦٩ لانني تمتعت مع زوجي المرحوم بجميع ملذات هاتيك الملاهي التي كلفت مصر ١٥ مليوناً نعم انني احب مصر واهوى شواطئ الاسكندرية

— وهل تتداخلين في اجتماعات الخديوي

— انا اعيش وحدي ولذاتي وزوجة قنصل روسيا صديقة قديمة لي وفيما سوى ذلك فانني اترفع عن الاشقياء الذين غصت بهم قصور الخديوي التي تزيد على الاربعين عداً . فاعلم يامستر كرانفورد انه ليس في الدنيا مجموع اناس ارديا‌ء خونة اعظم من الذين يحدقون بعرش اسماعيل فهناك لفيف الضباط والاشراف الفقراء ومشاهير المقامرين وكبار الجواسيس والوشاة . . . وهوذا امامنا الان احدهم (واشارت الى الكونت وهو ينحني امام الانسة موربلي ثم قالت)

— والكونت الان لا يعلم اي الاشياء افضل له هل يساعد نوبار باشا او راتب او شريف على الفوز بهذه المغنية وهل يفتح لها الخديوي ابواب سراي عابدين العظيمة . ايها الشاب لا تثق باحد من رجال المعية في مصر ولا تظن انني ابالغ فملك اسماعيل ملك ذئب او حوت او سفَّاح على عرش مذهب وهو الان يلعب بشريف ونوبار بينما هو يضمر الشرَّ للاثنين . والفلاح يئن تحت السياط و١٨٠٠ امرأة يشغلن القصور الكبيرة واكثرهن متجمعات من مراقص فينا وشوارع ايطاليا بينهنَّ الشركسيات الحسان وهكذا فان اسماعيل وهو الان في حالة الخراب التام لا يزال يصغي في الاوبرا لانغام فردي التي وضعها لرواية عائدة ويرجو ان يعيد لمصر فخرها الفرعوني ومجدها الاسكندري وان يضع في يده مفتاح الهند ويقبض عليه يد نابليونية — كذب فالهُ

ان القدر يريد غير ذلك ولكن كفى الان فمتى اجتمعنا في مصر نتحدث مليًا

ستأتي البقية

المقامرة

لا اريد الاشارة اليوم الى الحانات واماكن المقامرة العمومية بل اريد توجيه الخواطر الى مراكز المقامرة الخصوصية أريد بها البيوت فقد صارت منازل بعض الناس مركزًا للمقامرة يكاد يعطل اشغال القمار في نواديه العمومية واشتركت النساء مع الرجال في اللعب حتى صار من الامور الخارجة عن حد الادب وحتى رأيت بالامس رجلاً يلعب البيزيك وابنه في الثامنة من العمر بجانبه يتولى العلامات ويقلب انامله عليها ويحسب حسابات الورق كانه مقامر قديم فاسفت كثيرًا لما صار اليه الكرام في هذه الايام ورأيت ان انقل في هذا المقام قصيدة نشرها البيان في اضرار المقامرة من نظم حضرة الشاعر المجيد نجيب افندي حداد قال

لكل نقيصةٍ في الناس عارُ
وشرُّ معايب المرء القمارُ
هو الداء الذي لا برء منهُ
وليس لذنب صاحبهِ اغتفارُ
تشاد لهُ المنازل شاهقاتٍ
وفي تشييد ساحتها الدمارُ
منازلُ كم أُريق دمٌ عليها
وكل دمٍ اراقته جبارُ
نصيبُ النازلين بها سهادٌ
فافلاسٌ فيأسٌ فانتحارُ
قد اختصروا التجارة من قريبٍ
فعدمٌ في الدقيقة او يسارُ
وبئس العيش فقرٌ مستديمٌ
يعارضهُ يسارٌ مستعارُ
وبئس المال لا تحظى يمينٌ
بهِ حتى تسلّمهُ اليسارُ
يفرُّ من البنان فليس يبقى
لهم من إثرهِ الاّ اصفرارُ
كأن الزئبق الرجراج فيهِ
يدور فلا يقرُّ لهُ قرارُ
كأن وجوههم ندمًا وحزنًا
كساها لونَ صفرته النضارُ
فبينا تبصر الوجنات وردًا
اذا هي في خسارتهم بهارُ
كأن المال بينهمُ نجومٌ
ورقعة لعبهم فلكٌ مُدارُ
فبعض نجومهِ فيها سعودٌ
وبعض نجومهِ فيها البوارُ
تراهم حول بسطتها قعودًا
يديرُ عيونهم ورقٌ يدارُ
عصائب لا يودّ المرء فيها
اخاهُ ولا يراعي الجارَ جارُ
يلاحظ بعضهم بعضًا بعينٍ
يكاد يضيء اسودها الشرارُ
فتحسب ان بين القوم ثأرًا
ولا ثأرٌ هناك ولا نفارُ
ولكن جارت الاقدار فيهم
ففي ابصارهم منها ازورارُ
كأن عيونهم لما أُديرت
فراشٌ حائمٌ والمال نارُ
فهم لا يبصرون سواه شيئًا
كساري الليل لاح لهُ منارُ
وهم لا يعطفون على خليل
وليس يشوق انفسهم مزارُ
وهم لا يذكرون قديم عهد
وليس لهم سوى الامس ادّكارُ
يذكرهم بما خسروهُ فيه
وما كانوا عليه وكيف صاروا
كرب الثأر اقبل يبتغيه
فزيد عليه فوق الثأر ثأرُ
ترى الحاظهم فتخال فيهم
خمار طلاً وليس بهم خمارُ
ولكن دارت الحسرات فيهم
كما دارت بشاربها العُقارُ
فكم غضبوا على الايام ظلمًا
وكم حنقوا على الدنيا وثاروا
وكم تركوا النساء تبيت تشكو
وتسعدها الأُصيبية الصغارُ
تبيت على الطوى ترجو وتخشى
يؤرّقها السهاد والانتظارُ
فبئست عيشة الزوجات حزنٌ
وتسهيدٌ وهجرٌ وافتقارُ
وبئست خلة الفتيان همٌّ
واتعابٌ وخسرانٌ وعارُ

بأبه اقتدى

قضية شبلي الباحوط

اتهام ابن الامير مصطفى

علم القراء ان حكومة المتن عادت فنظرت في قضية مقتل المرحوم شبلي الباحوط ويقال انها وجهت تهمة القتل الى ابن الامير مصطفى قائم مقام قضاء الشوف في لبنان كذا ورد في اخبار بيروت الخصوصية بحجة ان الامير عشق امرأة الرجل ثم اراد التخلص منه ففعل ما فعل

ان بعض الناس لا يصدقون هذا الخبر ويقولون ان التهمة في غير محلها لان اميراً من آل ارسلان وابن الامير مصطفى العظيم الشأن وزعيم الدروز الذين اشتهروا بصيانة الاعراض والشهامة

ان اميراً فيه هذه المزايا لا يقدم على هذه الدنايا

واما انا فاول من آمن بصحة هذا الخبر مع علمي بان الشاب هو ابن الامير مصطفى بل انا اصدق التهمة لمجرد كونها موجهة الى ابن الامير مصطفى

ذلك عملاً بقولهم

(ومن يشابه أبه فما ظلم)

كيف نستغرب ان يكون ابن الامير مصطفى قد عشق المرأة واغواها فسعى الشاب للتخلص من زوجها وله اهل بنفوذ والده ورفعة مقامه وسمو كلمته لدى المتصرف وفي الاستانة.

كيف نستغرب ذلك والشاب اذا فعل فهو انما سلك مسلك والده ونسج على منواله.

كيف نستغرب اتهام الابن وهو في عنفوان شبابه والجهل آخذ منه كل ماخذ ووالده قد اعطاه قدوة فاسدة ومثلاً سيئاً اذ كان كهلاً

الم يسمع الناس ما ذاع وملأ الاسماع من ان الامير مصطفى لما كان حاكم الشوف في عهد رستم باشا راى فتاة فقيرة تعيش من الخياطة ويشفق عليها الناس فتدعوها العائلات الى المنازل تساعدهم في صناعة الثياب وهي ذليلة بلهاء لا تعرف من الدنيا الا بيتها والكنيسة ولكنها لسوء حظها كانت جميلة فاحبها الامير وهو زوج امراة شريفة من اعرق العائلات نسباً واكرم السيدات حسباً وارقاهن ادباً واراد ان يستولي عليها وتغلب على طبعه الاميري الهياج الوحشي فعمد الى حيلة عجيبة لم يدركها ظالم في العصور المظلمة.

ذلك انه وجد بين كتاب قضاء الشوف شاباً اسمه سعد الخوري ورأى منه سذاجة تامة فقربه وادناه وتحبب اليه ورقاه ثم فاتحه في امر الفتاة واسمها نسطاس وهكذا ازوجه منها متظاهراً بالشفقة عليها والميل اليه ووعده ان هو تزوجها ان يزيد في راتبه ويرقيه. فلما تزوجت الفتاة لم يمهلها اسبوعاً واحداً ويقال انه لم يمهلها الى صباح ليلة الزفاف حتى اخذ الزوجة الى حماه واكترى لها منزلا ومنع زوجها عنها وحرم عليه ان يراها واقام الحرس واستعمل سلطته في الحكومة وانتهى الامر باشتهار الخبر وهكذا صارت الفتاة محظيته يأوي الى منزلها وقد هجر زوجته الكريمة وعين لها الرواتب وانفق عليها الاموال وصارت نسطاس هذه حاكمة على الامير وبالتالي صاحبة الامر على قضاء الشوف وبقيت عنده الى ان ماتت ولبثت محظيته مدة ١٠ سنوات والامر تعلمه البطريركية والكهنة والحكومة والناس حتى انه دفنها على حسابه ويقال انه مشي في جنازتها

هذا الذي فعله الامير مصطفى ارسلان فكيف نستغرب الخبر الجديد القائل ان ابنه اقتدى به فاحب امرأة المرحوم شبلي الباحوط واقدم على ارتكاب الجريمة

كرباج القنصل

السوري الاميركي في بيروت

منعوه وكيف دخل

قصة غريبة لكنها صحيحة اوردها لقراء المشير فهي جديرة بالاشتهار.

في مصر القاهرة شاب سوري اديب مهذب اسمه الخواجه نقولا نصر قضى في اميركا مدة طويلة وتجنس بالجنسية الاميركية واتى مصر للاتجار ثم خطر له منذ ايام ان يزور سوريا فركب الباخره الفرنساوية حتى اذا وصل الى المينا استقبله البوليس وانكروا عليه الجنسية الاميركية لانه سوري وابوا ان يسمحوا له بالمرور وضيقوا عليه كثيراً فبعث يشكو الى قنصل اميركا الجنرال وكان في سوق الغرب فهرول الى بيروت وعرض الامر على الوالي الذي ابى ان يجيبه الى ما طلب فبعث من فوره رسالة برقية الى سفيره في الاستانة وانبأه بما جرى وختم رسالته بقوله «فاذا لم يحفظ للحماية الاميركية مكانتها ولم تطلق حرية الخواجه نصر فانا مستقيل من منصبي ارسلوا من يخلفني» اما السفير فرد على رسالة القنصل رداً حسناً ووعده خيراً وفاوض المابين فورد الامر بالبرق الى الولاية ان تترك الخواجه نصر وشأنه فابلغ الوالي الامر الى بوليس المينا الذي ابى الخضوع مدعياً ان في الامر دسيسة وانه لا يتحمل المسؤولية والعواقب وهكذا ابقى الخواجه نصر في الباخرة حيث قضى كل المدة التي استلزمتها المخابرات فلما علم القنصل ان اوامر الاستانة ليس لها قيمة لدى البوليس وان الوالي لا يقدر او لا يريد ان يصدع بالامر الا متى نقدوه الصفر والحمر ذهب بنفسه الى المينا واخرج الخواجه نصر بمعيته وفرق شمل رجال البوليس الذين حاولوا معارضته بكرباج من ذنب الفيل وقال لهم ان كان الوالي لا يكفل نفوذ امر السلطان فكرباجي هذا هو الكفيل. وهكذا فرق شملهم شذر مذر وضرب بسوطه رجال الحكومة واهان الثوب الشاهاني العسكري باكثر مما اهانه الروس في غاراتهم واقام الخواجه نصر في سوريا يمرح ويسرح والبوليس يندب سوء حظه وهو يزبط ويفرح وهكذا وجدت الحرية الشخصية اعظم حماية تحت جناحي النسر. وعلى الانسان في تركيا انه اذا اراد التخلص من الهوان والاسر. فما عليه الا ان يهجر راية الهلال ويركب البحر. فاذا رف النسر الاميركي من حوله بالجناح. نال الحرية والامان وارتاح.

ولعمري ليس هبصون في اتلافه الدارعة مريماك. ولا الجنرال شفتر وهجومه على الاعداء غير خائف من الهلاك. باعظم فخراً في ذلك النصر. من فخر قنصل بيروت في حادثة الخواجه نصر.

«طبع بمطبعة السلام بمصر القاهرة»

ذيل

للاحتفال في مصر

بعيد الجلوس السلطاني

يا ايها العرب الكرام كفاكم ذلاً من الاتراك ان تتضرعوا
لا تأمنوا قوماً يشبُّ صبيهم والى مناواة الاعارب ينزعُ
فضلت عداوتهم على احلامهم وابت ضباب نفوسهم لا تنزعُ
ان الذين ترونهم اخوانكم يشفي غليل صدورهم ان تصرعوا

طالما كتبنا ووصفنا ظلم الاتراك واستبدادهم فلم تفد النصيحة فان بعض الافراد الفوا من انفسهم لجنة في القاهرة سموها (لجنة الاحتفال بعيد الجلوس السلطاني) واقاموا هذه الحفلة التي تشهدها العاصمة وعينوا لرياسة هذه اللجنة حسن بك مدكور (١) يدبر امورها وينظر في تدبيرها ويذيع امرها ويمضي على تذاكرها بخط يده الجميل · وجعلوا من جملة اعضائها ابرهيم بك المويلحي (٢) صاحب جريدة مصباح الشرق ومؤلف كتاب (ماهنالك) فلاح لنا ان نلخص وصف العيد السلطاني عما كتبه ابرهيم بك المويلحي في كتابه المذكور ثم نوزعه على الناس في هذا الموعد ليكون اشبه بمنشور من اعضاء اللجنة فيعلم الناس لاي شيء يوجب السرور هم يحتفلون بهذه الليلة العظيمة

قال حضرة ابرهيم بك المويلحي مؤلف كتاب «ما هنالك» تحت عنوان "عيد الجلوس السلطاني" صحيفة ١٠١ ما نصه بالحرف الواحد

في مثل هذا اليوم من سنة ١٨٧٦ جلس على سرير السلطنة وعرش الخلافة جلالة السلطان الغازي عبد الحميد خان الثاني بارثه الشرعي عن آبائه واجداده غياث الامم وغيوث الديم اعاد الله يوم هذا العيد الجليل على الامة العثمانية وعليه بالسعادة والاقبال والعز والاجلال · وهذا اليوم يوم الزينة في دار السعادة وعاصمة السلطنة ومقر الخلافة فيصير دجى ليلها بياضاً مما يظهره سكانها من علائم السرور والابتهاج امام الحكومة السنية · وفيه تنشر الجرائد العثمانية ما يخترعه ويدخره اصحابها طول السنة من المعاني الشعرية وغرائب الاغراق وبدائع الغلو في حسن الاحوال ورغد عيش السكان ليسحروا به عقول الرعية ويدخلوا به السرور على جلالة السلطان كأن يقولوا ان في هذه الليلة المقدسة مئتين وخمسين مليوناً من المسلمين فوق كرة الارض يمدون ايديهم بالدعاء الى السماء ليعيش جلالة السلطان على اريكة الملك الى آخر الزمان · ولو اتصلت ايدي هؤلاء العبيد بعضها فوق بعض لقطعت الوف الفراسخ وامسكت بالهلال وحينئذٍ تصير راية الهلال حقيقية للسلطنة السنية

اما نحن فقد عزمنا ان نذكر الحقائق الخالصة من

---

(١) حسن بك مدكور هو الرجل الذي رُفعت عليه قضية مخصوصة امام محكمة الاستئناف للنظر في هل هو امي ام لا

(٢) ابرهيم بك المويلحي هو الذي لما ابعدته الحكومة التركية من الاستانة جاء الى مصر واخذ يملأ الكتب والجرائد طعناً على السلطان والدولة التي جعلها في اسفل الدرجات

وكان اعظم عامل في اسقاط منزلتها لدى المصريين ثم وضع مقالات عنيفة ضد السلطان والدولة تحت عنوان ماهنالك ونشرها اولا في جريدة المقطم ثم عاد فجمعها في كتاب سماه كتاب (ماهنالك) وتطرّف في الميل الى الانكليز وفي مدحهم الى درجة الكفر ففضل كرومر على النبي موسى فلما وجد انه لم ينل منهم املاً عاد الى مديح الترك ولا شك انه متى قطع الامل منهم يعود الى ذمهم ومدحهم سواهم وهكذا الى ان ينتهي العمر

شوائب المبالغة والغلوّ عن السلطنة العثمانية من ذاك اليوم الى هذا اليوم ليعلم الراعي انهُ فقد نصف سلطنته ومعظم شأنها امام اعين الاوربيين بخيانة الخائنين وغش الغاشين ليتدارك ايدهُ الله الامر في النصف الباقي الذي ابتدئ فيه من مبادئ الاضمحلال ماكان ابتدأ في ضياع النصف الاول ولتعلم الرعية ان ما ملكتهُ الدولة بدماء آبائها واجدادها ذهب رخيصاً بهوى شيخ او جهل خصي فتقف مع جلالة السلطان بقلوب صادقة العزمات لتخليص الدولة من ورطتها ناسية ما مضى من الخطاء برجاء الخير فيما هو آتٍ

كانت الدولة العثمانية يوم جلوس جلالة السلطان على تختها من اجلّ الدول قدراً واعزها شأناً وابعدها صيتاً وارفعها صوتاً وكانت قوة اساطيلها ـ التي يسكت عنها الآن حياءً وخجلاً ـ بعد الدولة الفرنسوية في ترتيب قوى الدول البحرية وكان سكانها باحصاء الجريدة العسكرية العثمانية اثنين واربعين مليوناً · فكان لها في اوربا عشرة ملايين وفي اسيا اربعة عشر مليوناً ونصف · وفي افريقيا احد عشر مليوناً ونصف · وكان لها رومانيا والصرب بستة ملايين · فضاع من اوربا البلغار وبوسنه وهرسك والجبل الاسود وتساليا باربعة ملايين · وضاعت رومانيا والصرب بستة ملايين · وضاعت تونس من افريقيا وهذه مصر بملحقاتها بعشرة ملايين ونصف ولم يبق لها فيها الاّ طرابلس الغرب بمليون واحد · وضاع من آسيا قبرص وقرص وباطوم واردهان بمليون واحد · فالنصف الضائع اكثر من النصف الباقي

كان اول ما فتح القضاء عليها من صحيفة البؤس فتنة البلغار وما احدثته من المذابح كما وقع الآن ببلاد الارمن فقامت الدول تطالب الدولة باجراء الاصلاح كما تطلبه اليوم لبلاد الارمن وحددت لها الاصلاح في فصول كما تحددهُ لها في المسألة الارمنية · فدفعت الدولة طلب الدول كما تدفعه اليوم بعزمها على نشر الاصلاح عموماً في جميع ولايات السلطنة · وعليه بادر جلالة السلطان باصدار الفرمان العالي بتشكيل مجلس المبعوثان ونشر القانون الاساسي الاّ انه وجد ايده الله من حاشيته من يثبطه عن تنفيذه فجمع مدحت باشا جمعية في الباب العالي من اعيان الاستانة واستشارهم في الجواب القطعي الذي يجب ان تعطيه الدولة للدول · فاتفقت تلك الجمعية باجمعها ان يرفض طلبهنّ بالمبادرة الى اجراء الاصلاح العام بنشر القانون الاساسي وتشكيل مجلس المبعوثان الصادر بهما الفرمان العالي · واراد مدحت باشا بهذا رفع التردد في تنفيذ الفرمان واغلاق الباب في وجوه المثبطين · فاشمأزّ جلالة السلطان منه لتعضده بالامة واعتماده على الدول في تنفيذ اغراضه فامر بنفيه الى اوربا قبل اجتماع المجلس ونشر القانون لعدم امكان ذلك بعدها · ومن هذا علمت الدول ان الامور جارية على غير ظواهرها واثبت لها نفي الرجل الساعي في الاصلاح ما تظنهُ من التلاعب بها فشددت في طلب الاصلاح للبلغار واشتد الاضطراب في الاستانة وهاجت الافكار وكثر القيل والقال · فراى جلالة السلطان ان قبول الاعلان بالحرب من روسيا يصرف افكار الامة عن الاشتغال به في الداخل · وبعد قبول الاعلان بالحرب علمت الدولة انها غير مستعدة تمام الاستعداد لهذه الحرب الهائلة فامر جلالته بجمع مجلس المبعوثان لتلقي الدولة مسئولية الحرب على عاتقه وبالفعل اقر المجلس على قبول الاعلان بالحرب · ولما استحصلت الدولة منه على غرضها هذا امرت بفضه في الحال · ثم ارادت الدولة ان تقلد دولة المانيا في حربها مع فرنسا حيث وضعت المانيا جميع التدابير الحربية والحركات العسكرية في يد المارشال مولتك فصارت جميع الاوامر تصدر من يلديز بالحركات العسكرية في ميادين الوغى لقواد الجيش العثماني بمشاركة محمود باشا الداماد · وفات السراي ان الخريطات التي كانت امام مولتك لاراضي

فرنسا كانت اضبط من خريطات الجيش الفرنسوي نفسه وان خريطات الدولة كانت تشترى من الاسواق وان محمود الداماد غير المارشال مولتك فكم من حركة امرت فيها السراي بالتقدم وكان الخذلان الوحيّ فيه · وكم امرت بالتأخر وكان في غير ما امرت السداد والصواب · وقد سئل الغازي عثمان باشا بعد عودته من روسيا في مجلس الوكلاء عن سبب انحصاره في بلافنا وعدم خروجه منها مع امكان الخروج قبل التضييق عليه فاخرج من جيبه تلغرافات تامره بعدم الخروج · وقد تجاسر بعض الوكلاء ولامه على فعله وقال له كان يجب عليك ان تقول يرى الشاهد ما لا يرى الغائب · فاجابه بان العسكري يجب عليه الطاعة مطلقة للرئيس الاعلى · ويقال ان كثيراً من هذه الحركات كان مبنياً على التنجيم وضرب الرمل والاحلام حتى ان بعض المشايخ كان يبشر جلالة السلطان باسر امبراطور روسيا · وقد نصح بعض الصادقين جلالة السلطان ان يخرج بنفسه الى ادرنه كما كان يفعل اباؤه واجداده في الحروب وكما يفعل الروس فابى الخروج و بعث محمود باشا الداماد مكانه ولو كان خرج جلالته لبعث في الجنود العثمانية روح الغيرة وحب التفاني في نصر الدولة ولكن للقضاء حكماً لا تغلبه النصائح والعزائم

وقد قاست الجنود العثمانية ما يفتت الاكباد ويذيب القلوب لعدم الاستعدادات الحربية في ماكلها وملبسها وعلاج جروحها ودفن قتلاها · وكانت قد تشكلت جمعية الهلال الاحمر لجمع المساعدات من اهل الخير فذهب من تونس الجنرال حسين باشا الى مواقع الحرب بما قدمه من ماله وقدمه اهل تونس بترغيبه · ولما رجع الى الاستانة وذهب الى السراي امر جلالته سعيد باشا الصدر الاعظم وكان باشكاتب الحضرة السلطانية ان يدعوه الى مادبة سلطانية · فجلس عليها سعيد باشا وشرع يحكي على ماراه وشاهده من الضنك المحدق بالعساكر العثمانية وعريها في الثلوج وجوعها وجرحها والدموع تسابق كلماته على المائدة فقد كان الرجل متفانياً في حب الدولة · ولما قام ليغسل يديه وجد الطست الذي قدموه له من الذهب الابريز وجميع الآنية منه فابى ان يغسل فيه · وقال بعد ما شاهدت ما عليه العساكر المسلمون الذين يدافعون عن الاسلام والدولة في مواقع الحرب لا اغسل يدي في بيت الخليفة في هذا الطست · فامر جلالة السلطان لما سمع بكلامه ان يخرج في الحال من الاستانة فخرج وما قدر ان يعود اليها بقية عمره لانه قال الحق

ولما ضاق الامر على الدولة وظهرت علامات الانكسار ارادت السراي ان تحمل ايضاً على عاتق المجلس المسأولية في طلب الصلح فامرت بجمع المجلس · ولما اجتمع الاعضاء لم يتساهلوا تساهلهم في المرة الاولى بل ارادوا البحث والتدقيق عن الاسباب التي نشأ عنها الانكسار وطلبوا حضور السر عسكر ليسالوه · ولما علم من حول جلالة السلطان بهذا الطلب قالوا لجلالته هذه اول خطوة من المجلس في محو سلطتكم المقدسة فاذا تمّ لاعضائه ما ارادوا طلبوا الصدر الاعظم غداً ولا يبعد عليهم ان يتجاسروا بعدها على طلب ذاتكم المقدسة فامر جلالة السلطان في الحال بطرد اعضاء المجلس ونفي المشاهير من رجاله

ولما عظم الخطب وفدح الامر وقرب الروس من دار السلطنة طلبت الدولة من الدول التوسط لصدهم فلم يجبنَ الا انكلترا فانها لبت الدعوة وارسلت اسطولها في الحال الى الدردنيل

وفي هذه الاثناء كان الغراندوق الروسي وصل الى سنستفانو · ولما علم بان انكلترا ارسلت اسطولها سلم في عقد الصلح وتمت معاهدة سنستفانو وكانت شديدة الوطأة على الدولة ولما بلغ الانكليز ما تضمنته من الشروط المضرة بالدولة الزمت الدولة بعقد مؤتمر · فقبلت الدول الا فرنسا فانها اشترطت ان لا يصير الكلام فيه على مصر وسوريا

وبيت المقدس · وهذا الذي نبه الانكليز ان يسبقوا الى مصر
وكان لدولة الانكليز اليد البيضاء والهمة العلياء في صدّ الروس عن الدخول في دار السلطنة ومقر الخلافة وفي تأْييد التخت العثماني فيها بعد ان عزم جلالة السلطان على مغادرة الاستانة والرجوع الى بورسه مقر تخت آل عثمان القديم ونقل خزائنه الى الباخرة بالفعل · وكان لها الفضل في فسخ معاهدة سنستفانو التي · كانت الضربة القاضية على الدولة لو بقيت · وفي عقد المؤتمر الذي تكفل بحفظ املاك الدولة · ولا ينكر هذا الا من سفه نفسهُ (١)

ثم انفض المؤتمر بعد خراب البلاد وهلاك الرجال وضياع الاموال ووصول الروس الى اسوار العاصمة واستغاثة الدولة بالدول وتحملها منَّة الانكليز باجابتها دونهنَّ ورجوع نائب السلطنة منهُ بنصف الدولة · كل هذا تسبب عن المحاولة في اجراء الاصلاح في ولاية من ولايات الدولة كما هو حاصل الآن فترتب على ذلك استقلالها واستقلال غيرها ·

ثم ان جلالة السلطان اختار ان يأْتي بصدر للدولة من الخارج فوقع اختياره على خير الدين باشا فاستدعاه من تونس وكان الباي قد عزلهُ وغضب عليهِ ومنعهُ الاختلاط بالناس · فحضر الى الاستانة · وتقلد منصب الصدارة العظمى واستحلفهُ جلالة السلطان على المصحف والبخاري ان لا يدخل في مؤامرة على ذات السلطان وحلف له جلالتهُ انهُ لا يعزلهُ · فكان اول اماله الانتقام من الصادق باي والي تونس فساعد على عزل اسمعيل باشا خديو مصر الاسبق وبعث لسيدهِ الباي يهددهُ ان تكون له تلك العاقبة قريباً · فأَسرع الصادق باي بالالتجاء الى الحكومة الفرنسوية ليأْمن على نفسه من شرّ مملوكهِ الذي صار مالكاً ووجدت فرنسا فرصة لاسكات الدولة عن تونس بتسليم مدحت باشا لها حين التجأ الى قنصلها في ازمير · واشتغلت الدولة بمحاكمة مدحت واصحابه واشتغلت فرنسا بادخال تونس تحت حمايتها فنجح الفريقان فيما اشتغلا فيه ووضعت فرنسا الحماية على تونس وحصل جلالة السلطان على غرضه بنفي مدحت باشا ونوري باشا ورشدي باشا وشيخ الاسلام خير الله افندي ومحمود باشا الداماد الى الطائف

ومحمود الداماد هذا هو الذي حسد السيد ابا الهدى على قربه من جلالة السلطان حتى قال لجلالته انه لا يليق بعظمة السلطنة ان تدخل في امورها السياسية العظيمة (هذا العرب) · فكافأَهُ الله على تحقير امة منها سيد المرسلين أن نفاهُ السلطان الى بلاد العرب فذلَّ بينهم وهلك فيهم · وهذه اللفظة طالما استعملها كبراء الاستانة في الشتم والسب وهم يعنون بالعرب الزنجيَّ او الكلب الاسود · فمن ذلك ان طبيباً من اطباء الحضرة السلطانية في رتبة الفريق كان اسمه عارف باشا كان في مجلس حافل وكان يخاصم شخصاً وينازعه حتى وصل الى تهديده فقال وهو محتدّ مغتاظ « ان لم افعل بك كيت وكيت اكن (عرب) » · ماكان ينبغي ان يلفظ بهذا احدٌ في مقر خلافة الرسول العربيّ ولكن هذا يضاف الى امثاله من سوء الاحوال التي نحن في ذكرها »

ويقول عن حادثة عرابي

ثم حدث بعد ضياع تونس الفتنة العرابية في مصر فاوصلتها سياسة الطمع الى هذا الحال · لان الدولة ظنت انها وجدت فرصة يمكنها فيها بالدهاء السياسي ان ترد على الدولة ما ميز السلطان محمود به مصر فاتصلت المخابرة بين المشايخ وعرابي · وكان السيد اسعد قد جاء الى مصر قادماً من الحجاز فتقابل مع عرابي ولما ذهب الى الاستانة مدحه لجلالة السلطان بانه الرجل الذي يرجى

(١) هذا ما قاله صاحب مصباح الشرق سنة ٩٧ فقابله مع الذي يقوله في هذا اليوم تجد كيف يكون الصدق والثبات وكيف يحكم على نفسه بنفسه

منه الخير للدولة في مصر · وعلى هذا رفضت الدولة ان ترسل عساكرها الى مصر لان المشايخ عرضوا على جلالة السلطان بان ارسال العساكر المسلمين لقتال اخوانهم المسلمين يضر بمقام الخلافة سيما امام مسلمي الهند الذين تتهيأ الدولة بواسطة المشايخ على استجلابهم لها في مستقبل الزمان · فبعث جلالة السلطان درويش باشا للمغفور له الخديوي السابق والسيد اسعد لعرابي وكان لكل واحد منهما مخابرة مخصوصة مع جلالة السلطان بتلغرافات الارقام · الا ان السيد اسعد لم يجد من عرابي في المرة الثانية ما وجده في المرة الاولى من الاكرام لاعتماده على الشيخ ظافر · ولهذا كتب في البيانامة التي تقدمت من الصدارة الى المابين بطلب فرمان العصيان ان من جملة ما صدر من سيئات عرابي انه يحقر آل البيت ولا يعتني بهم

والخلاصة ان المسألة المصرية وقعت في ايدي المشايخ ويد بهرام اغا وكان الباب العالي لا يعلم منها الا المخابرات الرسمية على حسب العادة الجارية · فلما امر جلالة السلطان ان يعقد مجلس من رجال الدولة في المابين تحت رئاسة الصدر الاعظم سعيد باشا للنظر في المسألة المصرية قال احد رجال الدولة للصدر كيف نتكلم في مسألة لا نعلم منها شيئاً لان الدولة امرت ان الجرائد لا تكتب عنها حرفاً واحداً ومنعت دخول كل جريدة اجنبية فيها ذكر مصر · قال له الصدر ما المسؤول باعلم بها من السائل

ثم ابتدأ في النصف الثاني من السلطنة ما ابتدأ في النصف الاول منها طبق الاصل "

وله يصف الجواسيس وهو ادرى الناس بهم

" وماذا اقول في قوم لو وقع في ايديهم صداق البتول عليها السلام لاشتروا به معاول لهدم الكعبة ان لزم هدمها لاحكام مكيدة من مكايدهم او تصنيع دسيسة من دسائسهم في غرض واحد من اغراضهم · وقد اتخذوا اسم الخلافه احبولة لدفع المنفعة وجلب المضرة على الدولة فنجحوا بتمالوءهم وشد بعضهم ازر بعض

قال بعض الفضلاء من وكلاء الدولة ان السلطنة قد فقدت جلال شأنها بيمين زيد وسبحة عمرو ومسواك بكر · ولا يعجزنا ان نبعث بآلة حفظ الصوت الى البيت الحرام والى الروضة الشريفة فننقل بها كلام المظلومين الذين ملأوا حجورهم من الدمع في تلك البقاع الطاهرة ليسمعه جلالته فيرحم جيران بيت الله من قوم جعلوا الحجاز مقاطعة لهم واستحلوا دم الحجاج في الحرم

ويقول في انقلاب الافكار

وانك لتجد الداخل الى الاستانة مملوء الصدر بحسن الآمال فرحاً مسروراً داعياً لجلالة السلطان بالنصر والظفر مكذباً لجرائد الاحرار ان كان من مصر معتقداً فيها الزور والبهتان فاذا اقام فيها عشرين يوماً تغير حاله وصدق ما كذّب آنفاً واشتغل لسانه بالاستعاذة والحوقلة · اما اذا اجتمع بواحد ممن ذكرنا يوماً واحداً فانه يخرج من الاستانة يائساً من كل خير ومن كل اصلاح محتقراً ما استعظم مستصغراً ما استكبر مسترخصاً ما استغلى كارهاً ما احب

ثم يقول في وصف موكب صلاة الجمعة
الذي يحتفل به خليفة الرسول

" ماقيصر في موكب انتصاره ولا الاسكندر في يوم افتخاره استغفر الله بل ماسعد قادماً من القادسية ولا المعتصم قافلاً من عمورية املأ للقلوب مهابة ولا للعيون بهاءً من رؤية جلالة السلطان يوم الجمعة في موكبه "

ويقول في فصل " تقليد المناصب العثمانية " ما نصه

يأتي المعزولون من المأمورين على اختلاف طبقاتهم زرافات ووحداناً الى دار السلطنة · هذا عزل لطول مدته في وظيفته وذاك عزل لسقوط دعامته وزوال حمايته وهلم جراً فيدخلون وعبابهم مملوءة بالمال ورؤسهم بالآمال

فيطوفون على بيوت الكبراء والوزراء والكتّاب والحجاب ويقدمون الهدايا والتحف فيركعون لاشارة بالكف او نظرة بالطرف ممن يمر عليهم من ولاة الامور . ويقيمون على هذا الحال سنوات فاذا استنزفوا ما يملكون واخرجوهم من مالهم خروج الحية من قميصها اعادوهم الى الوظائف ليجمعوا لهم الاموال في رجعة اخرى

فيخرجون من الاستانة وقد وقفوا على القصد الحقيقي من السلطنة والدولة والخلافة والامامة والجيوش والمعاقل والحصون والرتب والنياشين وهو حفظ ذات مولانا السلطان حفظه الله وابقاهُ وجعل الامة والدولة فداه . فلا يرغبهم في استبقاء وظائفهم عدل وانصاف ولا يرهبهم خشية العزل ظلم واعتساف بعد اقامتهم في تلك المدرسة اعواماً وبعد دخولهم وراء الملعب ورؤيتهم صور اللاعبين كما هي وبعد معرفتهم بخوف زيد وعجز عمرو واكاذيب بكر والاعيب خالد وبعد ان صارت القبة التي كانوا ينظرونها من بعدٍ حبةٍ من القرب . فلا ترى الرعية منهم بعد ذلك الا نموراً تمزق الاعضاء واسوداً تفرق الاشلاء وافاعي ناهشات وعقارب قاتلات ولا يرون منها الا نقاداً وحملاناً ليس لها ماتدفع بهِ

قال رجل من الاتقياء الصلحاء لصاحب لهُ كان يعاشرهُ " قد عزلوني ولا ذنب لي كما تعلم فجئت هنا وقد مضى عليّ ثلاثة اعوام وانا ابعثر الاموال واقبل الاذيال حتى لم يبقَ لي مال ولا لوجهي ماء . اضحك اذا ضحكوا واغضب اذا غضبوا واحزن اذا حزنوا والعن اذا لعنوا وامدح اذا مدحوا وما نلت منهم الا وعداً صار في اذني رعداً مطرهُ من دموعي المتتالية وبرقه من ثناياهم البسامة وقد مات ابي في بلادي ومرض ابني ووضعت زوجتي وبيع اثاث بيتي وصرت لطول المدة لا اقدر على الرجوع خائباً ولا على الاقامة محتاجاً وقد عينوني في وظيفة وقبل سفري اليها حولوها الى آخر لقوة المنسوب اليه وشدة نفوذهِ وهم يعدونني الآن بوظيفة في طرابلس الغرب وانا انتظرها انتظار المريض الشفاء وليس لي همّ الا ان اكون يوماً من الايام في عدد الذين يسلمونها الى ايطاليا او فرنسا

اما الولاة فكثيراً ما يعزلون وينقلون من ولاياتهم بذنب انهم محبوبون من الاهالي كما حصل لعثمان باشا والي الحجاز سابقاً فانه عزل عن الحجاز بدعوى ان الاهالي يحبونه ويسألون الله في الحرم ان يبقيه فيهم فجعلوا من هذا سبباً عظيماً لعزله فعزل . وان كثيراً من الناس يوظفون في الولايات لابعادهم عن الاستانة فينفون على هذه الصورة فمنهم احمد افندي قدري صاحب جريدة الاعتدال بقي في الاستانة مدة طويلة بعد الغاء جريدته يقاتل الاحتياج واصحابه الذين ألغى كامل باشا جريدته لاجلهم يجودون عليه بسد الرمق احياناً لاسكاته عن كشف ما يعلمه من مستور امورهم ولما ضاق به الحال جاء الى نظارة المعارف وقال على ملاء من الحاضرين " اني قدمت كثيراً من العرائض للباشكاتب ثريا باشا لالتماس خدمة من جلالة السلطان فما اجابني عنها بجواب وقد استعرت اليوم مسدساً وملأته بالرصاص وانا عازم على قتل ثريا باشا في الجامع الحميدي عند حضور جلالة السلطان للصلاة " فطار الخبر الى المابين في الحال فصدرت الارادة السنية لناظر الضبطية باخذ المسدس منه اولاً وبتعيينه باشكاتب في متصرفية بلدته طرابلس الشام بالف وخمسمائة قرش وبان يبقى في الضبطية حتى تسافر الباخرة الى تلك الجهة . وما اقدم قدري افندي مع ذكائه على هذا القول المستوجب للمحاكمة الا وهو على يقين ان يأتي بخيره ونجاحه لانه كان من زمرة اللاعبين في الملعب . فمن يخاف هذا المأمور بعد ذلك وممن يخشى ومن يقي عباد الله من بؤسه . وقس على هذا كلهم او جلهم .

قال نافع افندي وهو من الولاة المعزولين ومن الطرز الاول لمنيف باشا وقد سمع بهذا واشباهه قد طالت عطلتي واني ارتب الآن في نفسي كلاماً يخشن مسه لاقوله امام

جاسوس عسى ان أُنفى له بوظيفة في الخارج

ويقول في الوظائف

اختلطت الوظائف بعضها ببعض وتقلدها غير اربابها واصبح الشيخ سفيراً في سياسة الدولة مع الانكليز كالسيد احمد اسعد وطابخ الشاي والياً كعزت افندي ولاعب التياترو ما بينجياً يبعث الى السفراء كعارف بك وهلمَّ جرّاً على هذا النمط حتى امست الوظائف كخرزات مختلفة الالوان وضعها واضع في جعبة ثم جلجلها ما استطاع وفتحها فانكب عليها شبان المابين يفرقون ما وقع في ايديهم على اصحابهم · فكانت نتيجة هذا ما تراه اليوم من حال الدولة في نصفها الثاني بعد ضياع النصف الاول

وله في الجواسيس ايضاً

ومن مخزيات الزمان ومسودات وجه العصر ما اصاب الامن العام في قاعدة السلطنة وعاصمة الدولة ومقرّ الامامة من اطلاق ذئاب الجواسيس الطلس على حملان الرعية النائمة في حظيرة الخلافة الاسلامية · فان الجاسوس يسرق ويسلب ويختلس وينهب ويزوّر ويهتك الاعراض ويشهر السلاح ويطلق الرصاص على العاجزين الضعفاء من رعية السلطان ثم تحكم المحاكم بدرجاتها عليه حتى اذا لم يبقَ الاّ تنفيذ الحكم جاءه العفو باسماً كما وقع للجاسوس حسن فهمي باشا المتقدم ذكره فانه اطلق الرصاص في بيته على صهره وتقدمت الدعوى الى المحاكم على حسب العادة وكتبت الجرائد تفصيل تلك الواقعة الشنيعة وحكمت المجالس عليه بالعقاب المقرر لجنايته فادركه العفو قبل التنفيذ ·

ولفظة خفية بمعنى الجاسوس قد زالت عنها في الاستانة وصمة العيب وصارت مما يفتخر به · قالت احدى السيدات الاميرات لاحد وكلاء الدولة بلغني انك خفية يا باشا منكرة عليه — فقال وما ذا يعلق بي من هذا الا الشرف والافتخار فكلنا جواسيس لجلالة مولانا

ويقول ايضاً

اما اذا اكرم الملك على الوشاية واحسن على السعاية وقدّم على الافك واخر على الصدق وتبسم في وجه الدنيء وقطب في وجه الشريف فلا تلبث القلوب ان تفسد والخطوب ان تتفاقم · والقلوب اذا ملأَها الخوف والحقد لا يعالجها الاحسان والانعام ولا يداويها التلطف والابتسام وربما زادها الاحسان مرضاً والابتسام مضضاً فيستعصى الداء وينتهي الامر بانطواء مصالح الدولة العامة تحت مصلحة خاصة واحدة وهي محافظة الملك على نفسه فتنحل عرى السلطنة حينئذٍ وتمتد الايدي الاجنبية من الخارج اليها وتعاونها القلوب من الداخل للانتقام والخلاص منها

قال يوسف رضا باشا لصديق له ان جلالة السلطان قد تعود ان يسمع من جواسيسه كل يوم خبراً مقلقاً على نفسه فاذا مرَّ يوم ولم يأْتهِ فيه ما يقلق خاطرهُ على نفسهِ بقيام فتنة وتشكيل جمعية ظن انه وقع ما يخشاهُ وما اتاهُ خبرهُ فيبقى متكدراً حتى تكتب له الجواسيس بشيءٍ من هذا القبيل فيشتغل بتحقيقهِ فاذا ظهر له كذبهُ كغيرهِ من الاخبار السابقة سرّي عنه واستراح خاطرهُ · واذا اخبر جلالته احداً من خاصته بانه بلغهُ ان جماعة ينوون لذاتهِ شرّاً فان كذَّب الرجل لجلالته الخبر بالبراهين ليذهب عنه الكدر ارتاب فيه وظن انه يحاول كتم الامر لدخولهِ فيه · وقال جلالته يوماً لاحد المقربين لسدته السلطانية شاكياً من كثرة الاشغال لديه انه وصل لمقامهِ الاسنى ثلاثة تقارير في مسافة نقض وضوءهِ

ويقول في تأْليه السلطان

ان الخاصة يسمون انفسهم (بنده كان اوفداكار · وفداكار من يفدي السلطان بروحه وهاتان الكلمتان مفتاحان يفتح بهما المتملقون كنوز مصالحهم . وسرّان عظيمان يبيحان لحاملها ان يفعل ما يشاء غير آثم ولا مذنب

ثم يصف دائرة الباش اغا في المابين واعمال بهرام آغا بقوله

كان يشمخ بانفه على الفحول اصحاب السيف والعلم والكتاب والقلم ويكبر على عترة الرسول واولاد البتول فيمد رجله في وجوهٍ كرَّمها الله لتقبيلها ولا يردعه رادع الايمان ولا يزعه وازع القرآن ان يقف عند حده مع اهل بيت نزل الكتاب عليم وفيهم ·

ولا زال يلعب لعب الوليد في عظائم الامور ويعبث عبث الجاهل في شؤون الجمهور ومصر من بينها في فصوص لعبهِ وكعوب دده مع الشيوخ يأخذها مرة ويرميها اخرى فتكون له طوراً وطوراً تكون من نصيب ملاعبهِ بها حتى سقطت من بين ايديهم ومضى الآغا اسبيله وتركهم يفتشون عليها من بعدهِ · وهو المشير بان لا ترسل الدولة الى مصر الجنود الشاهانية حين طلب الانكليز من الدولة ارسالها اليها بدعوى ان ذلك ربما استدعى تقليل العساكر الذين يحافظون على سراي يلدز

يستغيث القلم ان يكتب هذا الفصل وهو ان العادة جرت من زمن قريب ان المجرمين والقاتلين والمتهمين ينفون الى الحرمين الشريفين فيبعث بهم ثباً ثباً وفرادى فرادى مغضوباً عليهم من بيت السلطان الى بيت الرحمن

حفظه الله وابقاه وجعل الامة والدولة فداه

ما هنالك